



دروس وعبر من رحلتي الإسراء والمطهرات



بقلم

محمد مهدي نذير فسلان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الحمد لله نحمده، ونستعين به ونسترشده، ونعوذ بالله
من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فهو
المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً...

وأشهد أن لا إله إلا الله: قَسَمَ الأرزاق بين عباده بحكمته
ورحمته، ورفع بعضهم فوق بعض درجات؛ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا سُخْرِيًّا. اسمع إليه وهو يقول في الحديث القدسي
الجليل: «ابْنَ آدَمَ! عِنْدَكَ مَا يَكْفِيكَ، وَأَنْتَ تَطْلُبُ مَا
يُطْغِيكَ، ابْنَ آدَمَ! لَا بِقَلِيلٍ تَقْنَعُ، وَلَا بِكَثِيرٍ تَشْبَعُ، ابْنَ
آدَمَ! إِذَا أَصْبَحْتَ مُعَافَى فِي جَسَدِكَ، آمَنَّا فِي سِرِّكَ عِنْدَكَ
قُوَّتُ يَوْمِكَ، فَعَلَى الدُّنْيَا الْعَفَاءُ»^(١). **إلهي:**

رضاك خير من الدنيا وما فيها .. يا مالِكَ النفس قاصيها ودانيها
ونظرة منك يا سؤلي ويا أُملي أشهى إليَّ من الدنيا وما فيها

وليسَ للنفسِ آمالٌ تؤملها سوى رضاك فذا أقصى أمانِها
هي القناعة فالزمها تعش ملكاً... لو لم يكن منك إلا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها.. هل راح منها بغير القطن والكفن
يارب: اكْفِنَا بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَبِطَاعَتِكَ عَنْ
مَعْصِيَتِكَ، وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ، اللَّهُمَّ ارزُقنا رزقا حلالاً
طيباً مباركاً يكفينَا، وباعد بيننا وبين الحرام كما باعدت بين
المشرق والمغرب، اللَّهُمَّ ولا تقطع عنا فضلك، ولا تكشف
عنا سترك برحمتك وفضلك يارب العالمين.

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا محمداً رسول الله: قال
حبر الأمة عبد الله بن عباس -رضي الله عنه- دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم المسجد وهو يقول: { أيكم يسره
أن يقيه الله عز وجل من فيح جهنم، أيكم يسره أن يقيه الله
عز وجل من فيح جهنم } قالها - ثلاثاً، قالوا كلنا يا رسول
الله يسره، قال: من أنظر معسراً أو وضع عنه وقاه الله عز

وجل من فيح جهنم ^(٢) { سيدي أبا القاسم يا حبيب الله:

جاءَ النَّبِيُّونَ بِالْآيَاتِ فَاِنْصَرَمَتْ * وَجِئْنَا بِحَكِيمٍ غَيْرِ مُنْصَرِمٍ
بِكُلِّ قَوْلٍ كَرِيمٍ أَنْتَ قَائِلُهُ * تُحْيِي الْقُلُوبَ وَتُحْيِي مَيِّتَ الْهَمَمِ

أما بعد إخوة الإيمان والإسلام:

كلما أطلت على الأمة تلك الذكرى الخالدة "ذكرى
الإسراء والمعراج" التي أمتن الله بها على سيد الخلق وحبيب
الحق، اهتزت قلوبهم شوقاً، وفاضت مشاعرهم حنيناً وأنيلاً
إلى زيارة المسجد الأقصى الذي أُسري إليه الحبيب ثم عرج
منه إلى السموات العلا.. تلك المعجزة التي كانت خرقاً
لكل النواميس الكونية والقوانين التي أودعها الله عز وجل
في هذا الكون؛ حيث أصبح صلوات الله عليه لا يخضع لأي
ناموس من نواميس الكون، وفي هذا تشريف وتكريم
وتفضيل لخاتم الأنبياء وإمام الأصفياء صلوات الله عليه.

سيدي أبا القاسم يا رسول الله:

أنت الذي لما رفعت إلى السما ** بك قد سمت وتزينت لسراكا
 أنت الذي ناداك ربك مرحبا ** ولقد دعاك لقربه وحباك
 وخفضت دين الشرك يا علم الهدى * ورفعت دينك فاستقام هناكا.
 ماذا يقول المادحون وما عسى ** أن تجمع الكتاب من معناكا
 صلى عليك الله يا علم الهدى * ما اشتاق مشتاقاً إلي مثواك
أيها الأحبة: بعد أن عشت معكم في لقاءين مضيا قصة
 الإسراء والمعراج ووقفنا معاً عند عجائب ولطائف الآية
 الأولى من سورة الإسراء.. فإنني أعيش اليوم معكم في
 دروسٍ وعبرٍ تلك الرحلة.. ونحاول أن نستخلص منها عبراً
 وفوائد تكون عوناً ومعيناً لنا في حياتنا وزاداً لنا في آخرتنا.
الدرس الأول والعبرة الأولى: أن الله عود عباده المؤمنين
 أن "العطايا لا تكون إلا بعد الرزايا" وأن "المنح لا تكون إلا
 بعد المحن" وأن "اليسر لا يكون إلا في ذيل العسر" نعم...

فقد توالى على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-
الأحزان والآلام قبل إسرائه ومعراجهِ حتى سَمِيَ ذلك
العامَ بعامِ الحزن.

فقد حاصره قومه حصاراً خانقاً في شعب أبي طالب
ثلاث سنوات. كانت قاسيات شديداً عليه وعلى أصحابه
حتى قال سيدنا سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-
الصحابي الجليل فاتح العراق، ومدائن كسرى، وهو
يتحدث عما أصابهم مع رسول الله في سبيل الله من جوع
وقلة في شعب أبي طالب. قال: خرجت ذات ليلة لأبول
والجوع شديد... وبينما كنت أقضي حاجتي إذ سمعت قعقة
تَحْت بَوَلي، فَإِذَا بِقِطْعَةٍ جِلْدٍ بَعِيرٍ... فَأَخَذْتُهَا فغَسَلْتُهَا ثُمَّ
أَحْرَقْتُهَا... ثُمَّ اسْتَفَفْتُهَا وَشَرِبْتُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ، فَقَوِيتُ
عَلَيْهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ^(٣). الله أكبر...

ثم ماذا بعد هذا؟؟ يُفجع النبيُّ بخبر وفاة مناصره ومسانده الذي كان يوفر له الحماية الخارجية (خارج المنزل) لتبليغ دعوة ربه. يُفجع بموت عمه أبو طالب. فازدادت جراءة كفار قريش عليه، حتى كان أبو لهب يلاحقه في الأسواق والمجامع، يسبه، ويسفهه، ويرميه بالحجارة، ويخبر بأنه كذاب.. حتى دخل النبيُّ على ابنته ذات يومٍ بأبي وأمي هو صلوات الله عليه_وقد نثر سفيه من سفهاء قريش التراب على رأسه فجعلت ابنته تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها: (لا تبكى يابنية، فإن الله مانع أباك). وقال: (ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب^(٤)).

انظروا أيها الإخوة الكرام إلى حجم المصيبة والبلاء الذي صُب على النبي قبل إسرائه ومعرجه. "لكنها ابتلاءات

سيكون لمن صبر عليها عطيات ومكرمات " قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إذا أحبَّ اللهُ عبداً أو أراد أن يُصافيه صبَّ عليه البلاءَ صبّاً وثجّه عليه ثجّاً: فإذا دعا العبدُ قال: يا ربّاه، قال اللهُ: لبيك يا عبدي لا تسألني شيئاً إلّا أعطيتك إمّا أن أعجّله لك، وإمّا أن أدخّره لك ^(٥) »

ولم يكن هذا البلاء على النبي وحده بل كان أيضاً على أصحابه الأطهار. يقول خباب بن الأرت رضي الله عنه: «شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ مَتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ فَقَالَ: قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ، فَيُخْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمَنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نَصْفَيْنِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، مَا يَصِدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيُتِمِّنَّ

اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى
حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ
تَسْتَعْجِلُونَ^(٦)»

ثم ماذا بعد هذا البلاء! الذي لو نزل على جبل لجعله
هداً؟! يخرج الحبيب إلى الطائف داعياً وهادياً، يحدوه الأمل
في هداية ثقيف، لكنه يصدّم برفض أهل الطائف لدعوته،
وتعرضهم له بالشتم والأذية.. وقد سلطوا عليه وعلى
صاحبه سفهائهم.. حتى ضاق الحبيب ذرعاً.. فدخل بستاناً
يلوذ به، ويحتمي بشجراته من الضرب والمطاردة.. رافعاً
يديه إلى السماء، مناجياً ربه، معتذراً إليه، متحبباً إليه،
بكلمات كريمة، وبدعاء صادق نبع من أعماق قلبه الحزين،
قد امتزجت كلماته بحرقه وجدانه المكسور: "اللَّهُمَّ إِلَيْكَ
أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا

أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ! أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ
تَكَلِّمْنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي؟ أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَكَتُهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ
يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أَبَالِي، وَلَكِنْ عَافَيْتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي،
أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ
أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ
سُخْطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
بِكَ^(٦)"

ثم ماذا بعد هذا أيها الأحبة ! يُفجع النبي بخبر وفاة رده
ومؤازره زوجته السيدة خديجة-رضي الله عنها-، التي
ملئت عليه قلبه وعقله، التي كانت تؤازره وتسانده في
أحرج أوقاته، وتواسيه بنفسها ومالها في أحلك الظروف!
وقد أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم إكراماً
للسيدة خديجة فقال لنبي يا رَسُولَ اللَّهِ: «هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ

أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ، أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ
فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ
قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ^(٧)».

بلايا ومحن ومصائب صُبت على النبيِّ لو أنها صُبت على
الأيام صِرْنَ لياليا..موت للسند الخارجي. موت للسند
الداخلي. طرد وضرب من أهله..لكنَّ ما نتيجة هذا
الصبر..ما نتيجة هذا الرضا والتسليم المطلق لقضاء الله..
ما نتيجة هذه العبودية الخالصة التي ليس للنفس حظ فيها،
النتيجة دعوة كريمة ومكرمة لنبيِّ بزيارة السماء حتى وصل
إلى درجة من الرقي لم يصلها قبله إنس ولا ملك مقرب.

وليُعلم كل مؤمن أنَّ الابتلاءات الربانية متى واجهها
العبد بالتسليم والرضا والإذعان بالعبودية الخالصة لله مع
تعاطي الأسباب؛ فَإِنَّ الله سبحانه سيجعل له من تلك

المحن منحٌ مرضية، وسيجعل له من البلايا والرزايا عطايا.
 قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ،
 وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ
 سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»^(٨).

معاشر الأحبة: أما العبرة والدرس الثاني.. فإلى أن يجمعني
 الله بكم في لقاء قابل... لا أريد أن أطيل عليكم...اللهم
 اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه..^(٩).



تمت بحمد الله وتوفيقه...

بقلم

محمد مهدي نذير قشلاق

رجاء دعوة صالحة

(١) رواه البيهقي في الشعب، والطبراني في الأوسط، وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد مجمع الزوائد ١٠/ ٢٨٩. برقم (١٨٠٨٦) المحقق: حسام الدين القدسي. الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة. عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م

(٢) قال الإمام المنذري: رواه أحمد بإسناد جيد وابن أبي الدنيا في اصطناع المعروف والفظ له. الترغيب والترهيب ٢/ ٢٣ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ تحقيق: إبراهيم شمس الدين

(٣) حياة الصحابة للكاندهلوي ١/ ١٣٧. وانظرها في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم ١/ ٩٣. الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

(٤) البداية والنهاية ٣/ ١٥١. وانظر سبل الهدى والرشاد ٢/ ٤٣٥ لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢ هـ)

(٥) رواه الحافظ ابن أبي الدنيا كما في الترغيب والترهيب ٤/ ١٤٢. صحيح البخاري ٣/ ١٣٢٢ برقم: (٣٤١٦)

(٦) الطبراني عن عبد الله بن جعفر. قال الحافظ الهيثمي: أخرجه الطبراني

وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات.

(٧) صحيح البخاري ٣ / ١٣٨٩ برقم: (٣٦٠٩)

(٨) أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، وقال:

حديث حسن غريب. برقم: (٢٣٩٦)

(٩) أُلقيت هذه الخطبة في أحد مساجد عمان ١٤٣٨هـ _ ٢٠١٧م